مَبْدَأ التّأدب في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول

المدرس
رائد عماد أحمد
كلية الآداب – جامعة البصرة

الأستاذ المساعد الدكتور
عباس عبدالحسين غياض
كلية الآداب – جامعة البصرة

مَبْدَأ التّأدب في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول

الملخص

يُعدُّ مبدأ التأدب من المبادئ التداولية اللسانية الحديثة ، أوردته روبين لايكوف في مقالتها (منطق التأدب) ، سعت الباحثة من خلالها إلى استحضار الجوانب التبليغية والتهذيبية، التي لم يشِرْ إليها غرايس في قواعدِهِ ، فالمبادئ الأخلاقية تحكم التفاعل الكلامي ، لأن الفعل الكلامي ليس مجرد النطق بألفاظ معينة ، بل هو إرادة المتكلم للتوجه إلى المتلقي من أجل إنجاز العلاقة التخاطبية لتحقيق قواعد التبليغ والتهذيب ، ويهدف البحث إلى معرفة مدى تحقيق الخطاب النثري في العصر العباسي الأول لقواعد مبدأ التأدب، ومحاولة مناقشتها على وفق المبدأ اللساني التداولي .

الكلمات المفتاحية : التداولية ، التأدب ، روبين لايكوف ، العصر العباسي الأول .

The principle of politeness in prose discourse in the first Abbasid era

Lect. Raid Emad Ahmed
College of Arts-University of Basra
Iraq
Em: Raid_٣١٧@yahoo.com

Asst.prof.Dr. Abbas Abdulhussein Gyadh
College of Arts-University of Basra
Iraq
Em: abbas.algaydh@gmail.com

Abstract

The principle of politeness is a modern linguistic deliberative principle, which Robin Lakoff reported in her article (the logic of politeness), through which the researcher sought to evoke the eloquent and polite aspects, which Grace did not refer to in his rules, ethical principles govern verbal interaction, Because the verbal act is not just the utterance of certain words, it is the speaker's will to go to the recipient in order to accomplish the interrelationship to achieve the rules of reporting and polishing, The research aims to determine the extent to which prose discourse in the first Abbasid era has achieved the rules of the principle of politeness, and to try to discuss them in accordance with the deliberative linguistic principle.

Keywords: Pragmatics , politeness , Robin Lakoff , first Abbasid era .

المقدمة

مبدأ التأدب وهو مبدأ التداولي، ينبني عليه الحوار، وقد أوردته روبين تولماك لايكوف Robin Tolmach Lakoff في مقالتها (منطق التأدب) ، تدعو فيه لايكوف إلى الأخذ بعين الإعتبار بقواعد التهذيب أثناء التخاطب ، وقد صاغت لايكوف هذا المبدأ على النحو الآتي :(لتكن مؤدباً) إذ (يقتضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب مالا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ) (١) .

أفادت لايكوف من مبدأ التعاون وطوّرته لتخرج بقواعد جديدة تهذب الخطاب، وترمي لايكوف في مقالتها (منطق التأدب) الباحثين (بتهمة التقصير والجمود ، لما يكتفي به أحدهم من الوقوف في الدراسة اللغويّة ، عند حد الشكل اللغوي والإكتفاء به للحكم على صحّة الجمل، واتخاذه المعيار الوحيد ، فالإقتصار على صحّة المعيار التركيبي لوحده ، لايفضي إلى تفسير مقبول لبعض التراكيب؛ ولذلك تدعو إلى ضرورة الاهتمام بسياق التلفّظ، بما فيه من افتراضات منطقيّة وأخرى تداوليّة) (٢) .

ومعنى التأدب في الاصطلاح التداولي ، فيعرفه الناقد جيني توماس في كتابه (المعنى في التفاعل : مدخل إلى التداولية) إذ يقول : (هو الرغبةُ الحقيقية في أن نكون لطفاء مع الآخرين، وهو الدّافعُ الأساسيُّ لسلوكِ الفرد اللّغوي) (٣) ، إذن يعد مبدأ التأدب من مبادئ التفاعل في الخطاب ، و أشـــارت روبيـــن لايكوف فـــي مقالتـــها مَنْطِق التَـــأَدُّبِ

(The Logic of Politeness) إلى (أنّ المُتخاطبينَ فْي تَبَادُلاتهم الكَلاَمِيّةِ يحْرِصُونَ غَالِباً حِرْصاً شَدِيداً على الالْتزامِ بَقَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَدَبِ والبُعْدِ عَنِ العدوانِيّةِ أَكْثَرَ ممّا يَتَوخُّونَ الوُضُوح) (٤) .

وقد أكد سيرل Searle (أن التأدب La Politesse هو الدافع الأكثر قوة لاستعمال الطلبات غير المباشرة والسبب في ذلك أنَّ إنجازية الأفعال الكلامية في جوهرها تتأسس على الموقف الذي يجري فيه بين المتكلّم والمتلقّي ، وبالتالي فنجاح أو عدم نجاح كلّ قوةٍ إنجازية

يبقى مرتبطاً بنوعية الفعل القولي ومدى توافره على السمات الأخلاقية التي من شأنها أن تحقق الفعل التأثيري وبالتالي الفعل الإنجازي المقصود) [٥] ، كما ذكر سيرل أيضاً أن هناك صيغاً معينة تكاد تكون عرفيّة للتأدب في إنجاز الطلب غير المباشر وتختلف بحسب البيئة التي ينتمي إليها أطراف التخاطب ففي لغتنا العربية (نستعمل عبارات "لو سمحت ، من فضلك ، إن كان بإمكانك ، إن استطعت بصدق " وغيرها من المؤشرات اللغوية التي تفصح عن مدى التأدب الذي قد يتمتع به المتكلم ، وهذا مايشيع في طلباتنا اليومية إذ كثيراً مانقول :

-لوسمحت دعني أكمل حديثي ؛ حينما يقاطعنا المخاطَب .
-من فضلك احترم الموعد ؛ حينما نتودد أكثر من أجل جعل المخاطَب يأتي في الموعد المحدد.
- إن استطعت أجلب لي عند عودتك هدية ؛ حينما نريد الحصول على هدية ما .

فالمؤشرات القولية ذات الطابع الأخلاقي " لو سمحت ، من فضلك ، إن استطعت " والتي قد تصعب في سياقات ما بنغمة هادئة ودية ، تجسِّد مدى التأدب الذي يريده المتكلّم مع مخاطبه، فهي ضمان لتحقيق قصد قوله وإنجازيتِهِ فهو لايريد إحراجه ، بل يحافظ على ماء وجهه ، كما أنها تزيد من درجة إذعان المتلقّي للقوة الإنجازية المرادة)[٦] .

ويمكن أن نعدّ (التأدب وما يتفرع عنه من قواعد هو نوع من أنواع الاستراتيجيات التي يمكن أن تستقل للوصول بالمرسل إلى الغرض وتحقيق المطلوب) [٧] ، واستراتيجية التأدب التي تكون مقابل استراتيجية الجفاء (هي ماتتمثل بالسلوك الفردي لمنتج الخطاب من خلال انخراطه في سياق معين ، باستعماله العلامات اللغوية وغير اللغوية ليمارس بها خطابه ومن هنا يوصف هذا السلوك بالسلوك التأدبي) [٨]

وإن مبدأ التأدب الذي اقترحته لايكوف يفضل مبدأ التعاون لكونِهِ يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي ، وقد ادعت روبين لايكوف (أن قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها بحيث تأخذ بها مختلف المجتمعات البشرية كما تأخذ بها مختلف الجماعات اللغويّة داخل المجتمع الواحد ، أما مانشاهده من الاختلاف في التأدب فيما بين هذه الجماعات ، فلا يتعلق إلا بترتيب هذه القواعد ، فيفَضِّل بعضها على بعض ويُقَدِّم العمل به على غيره عند هذه الجماعة أو تلك) [٩] ، إلاَّ أن لايكوف ترى أن هناك علاقة بين مبدأي التعاون والتأدب، فيتفقان

في مناحٍ ويختلفان في مناحٍ أخرى ، (فتجسّد قاعدة التعفف خصيصة الاتّفاق ، وذلك من خلال إنتاج الخطاب بصورة رسمية ، وهو ما يقتضي وضوحه ، وهذا ما يفضي إلى إدراج مبدأ التعاون بقواعدِهِ تحتها ، انطلاقاً من اعتماد المرسل على أقصر الطرق في تبليغ المعلومات إلى المرسل إليه ، إذ يتجنب إهدار وقته ، مما يبعد عن المرسل تهمة الفضول عليه أو إحراجه، أما الأختلاف فيكمن في أنّ إنتاج الخطـــاب وفق مقتضى قاعدتي التخيير والتودّد هو خرقٌ لقواعد مبدأ التعاون)[١٠] ، ولهذا اقترحت لايكوف مبدأ التأدّب إذ (يُستحسَن لطرفي الحوار أن يراعياه، مثل مراعاتهما لقواعد مبدأ التعاون ، مما يشي بتكامل هذين المبدأين ، من أجل تحقيق أهداف الخطاب ، والتعبير عن المقاصد) [١١]

وعندما نتأمل في قواعد مبدأ التأدب نلاحظ أن جوهرها قائم على ضرورة مراعاة الجانب الأخلاقي بين المتكلم والمتلقي ، فهي تدعو الى التعفف والتهذيب والتودّد في تشكيل الفعل الكلامي ، كما تدعو إلى استعمال أساليب الطلب غير المباشرة لمراعاة الجانب التهذيبي في الكلام .

وقد تفرع مبدأ التأدب لـــ (روبين لايكوف) ضمن مقالتها (المنطق والتأدب)إلى ثلاث قواعد وهي :

١-قاعدة التعفف ومقتضاها (لاتفرض نفسك على المخاطَب) .
٢-قاعدة التشكك ومقتضاها (لتجعل مخاطبك يختار بنفسه) .
٣-قاعدة التودد ومقتضاها (لتظهر الود للمخاطَب) [١٢].

عندما نتأمل هذه القواعد نلاحظ أن جوهرها قائم على ضرورة مراعاة العلاقة التخاطبية ذات البعد الأخلاقي بين المتكلِّم والمخاطَب ، فهي تدعو إلى التعفف والتودّد والتهذيب في تشكيل الفعل الكلامي وتحقيق قوتِهِ الإنجازية ، كما تستدعي استعمال العبارات غير المباشرة ، وكل ذلك بحسب ما يقتضيه الحال والموقف الذي يقوم عليه الخطاب ، فالحال هو المحيط الذي يكتنف النص ، ويكون ذا أَثر في اختيار ألفاظه التي تؤدي إلى دلالات معينة حسب ظروف النص .

قواعد مبدأ التأدب

أولاً / قاعدة التعفف :

فحوى هذه القاعدة : لا تفرض شيئاً على المخاطَب ولا تفرض نفسك على الآخرين، أي الابتعاد عن التدخل في شؤون الآخرين ، وعدم الإلحاح على المخاطَب ، ويقرر هذا المبدأ أنه (على المتكلم ألاَّ يستعمل من العبارات إلاَّ ما يُمَكِّنَه من حفظ مسافة بينهُ وبين المخاطَب ، فلا يفاتحه بما يكشف أحوال أحدهما للآخر ، متجنباً الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب ، ولا يحمله على فعل مايكره ، محترزاً من استعمال عبارات الطلب المباشرة ، ولا يقتحم عليه شـــؤونه الخاصـــة إلا بالإسئـــذان قبـــل الكلام فيهـــا والاعتـــذار بعده) [١٣] ، فتستلزم هذه القاعدة احترام المخاطَب واستعمال العبارات التي تحفظ المسافة بين المتكلم والمخاطَب مع عدم التدخل في الشؤون الخاصة إلاَّ بالاستئذان قبل الكلام فيها مع الاعتذار بعد ذلك .

ومن الخطابات التي التزمت بمبدأ التأدب قاعدة التعفف رسالة عمرو بن مسعدة إلى المأمون التي أراد من خلالها أن يستشفع لرجلٍ شعر بأن حقَّه مهضوم ، ويريد أن يحسّن من وضعِهِ كبقيـــة زملائِـــهِ ، قـــال فيهـــا : (((أما بعد فقد استشفع بي "فلان" إلى أمير المؤمنين لتطولك [١٤]، عليَّ في إلحاقِهِ بنظرائِهِ من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمتُه أنَّ أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائِهِ بذلك تعدِّي طاعته والسّلام)) فكتب إليه المأمون : ((قد عرفنا توطئتك له وتعريضك لِنفسك، وأجَبناك إليهما ووافقناك عليهما))) [١٥]، استطاع عمرو فرض احترامه ؛ إذ تلطَفَ في شفاعته للرجل وتلميحه لنفسِهِ فاستعمل الكاتب الإستراتيجية التلميحية غير المباشرة ، فلم يستعمل عبارات الطلب المباشرة ، فالمتكلم هنا تجاوز دلالة الخطاب الحرفية إذ لم يصرّح بقصدِهِ، بل اكتفى بالتلميح وهو بذلك يكون قد التزم بقاعدة التعفف ، واستطاع المأمون أن يصل إلى مقصدية الكاتب وهذا مادفع المأمون إلى تلبية طلبه من خلال ردِّهِ على الرسالة ، كما استعمل الكاتب لفظة (أمير المؤمنين) مرتين في رسالتِهِ ، وفي ذلك دلالة على إلتزام الكاتب بمبدأ التأدب (قاعدة التعفف) التي تقضي بأن لايستعمل المتكلم من الألفاظ أو العبارات إلاَّ ما يمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطَب،

فنجد في هذه الرسالة والرد عليها إلتزام كل من الكـــاتب والمخـــاطب بمبدأ التأدب الذي ينص على قاعدة عامة وهي (لتكن مؤدباً)، وإلتزام كل منهما بضوابط التهذيب، كما التزم –أيضاً– بضوابط التبليغ .

وخاطب عمرو بن مسعدة برسالة في الشكوى الخليفة المأمون ، التزم أيضاً فيها بمبدأ التأدب قاعدة التعفف، قائلاً : (كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قِبَلي من قُوَّاده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ماتكون عليه طاعة جندٍ تأخّرَتْ أرزاقهم وإنقياد كفاةٍ تراخت أعطياتُهم وأختَلَّتْ لذلك أحوالهم وألتأثَت معه أمورهم) [١٦]، فالتلطف في الخطاب ظاهر في توصيل شكوى الجند الذين تأخرت أرزاقهم إلى الخليفة المأمون ،وقد أُعجب المأمون ببلاغة عمرو في هذه الرسالة الموجزة إذ استطاع الكاتب بقدرتِهِ الفنية أن يتجنب سؤال الخليفة بعبارات الطلب المباشرة وسأله باسلوب الإخبار وبطريقة التعريض والتلميح بالحاجة دون التصريح بها وهو بذلك قد التزم بمبدأ التأدب قاعدة التعفف ، فضلاً عن ذلك حفظ المسافة التي بينه وبين الخليفة وذلك في قوله: (كتابي إلى أمير المؤمنين) وهذه إشارة إلى التزام الكاتب بمبدأ التأدب باستعمال العبارات التي تحفظ المسافة والعلاقة بين المتكلم والمخاطَب ، وذلك من خلال اختيار الألفاظ المناسبة، إذ إن تخير اللفظ هو أساس مبدأ التأدب يقول الماوردي :(فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حرياً ، وبتقويم لسانه ملياً ، وليس يصحُّ اختيارُ الكلام إلاَّ لمن أخذ نفسه بالبلاغة وكلَّفها لزومَ الفصاحة ، حتى يصير متدرِّباً بها معتاداً لها فلا يأتي بكلامٍ مســـتكره اللفظ ، ولا مختل المعنى، لأنَّ البلاغة ليســـت معاني مفردةً ولا ألفاظاً عاريةً)[١٧] ، لأن البلاغة يجب أن تكون المعاني الصحيحة في ألفاظٍ فصيحة .

ومن الخطابات التي التزمت بمبدأ التأدب قاعدة التعفف رسالة السيدة زبيدة إلى الخليفة المأمون ، كتبت تَستأذنه في رد إعتبارها وأملاكها وتذكِّرُهُ بالرَّحمِ التي بينهما، فخاطبته تقول: (كلُّ ذَنْبٍ يا أمير المؤمنينَ – وإن عَظُمَ – صَغيرٌ في جَنْبِ عَفْوِك ، وكلُّ زَلَلٍ – وإن جَلَّ – حَقيرٌ عندَ صَفحِك وذلك الذي عوَّدك الله ، فأطالَ مُدَّتَكَ ، وتَمَّم نِعْمَتَك ، وأدام بكَ الخير ، ودفع بك الشَّرَّ ، هذه رقعة الوالهِ [١٨] ، التي ترجوكَ في الحياةِ لنَوائبِ الدهر ، وفي الممات لجميل الذِّكرِ ، فإن رأيتَ أن ترحم ضُعفي واستكانَتي وقِلَّةَ حِيلَتي، وأن تصِلَ رَحمي وتحتسبَ فيما

جَعَلَكَ الله له طالباً ، وفيه راغباً فأفْعَلْ وتذَكَّر [١٩] مَنْ لَو كانَ حَياً لَكان شفيعِي إليْكَ) [٢٠]، تعد هذه الرسالة من رسائل الاستعطاف التي أرسلتها زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى الخليفة المأمون بعد مقتل ابنها الأمين فبعثت إلى المأمون هذه الرسالة تستعطفه وتدعوه ان يعفو عنها، وقد التزمت الكاتبة في خطابها بقاعدة التعفف إذ نادتهُ بـــ(أمير المؤمين) على الرغم من أنها ربتهُ بعدما توفيت والدتَهُ بعد ولادتهِ بثلاثةِ أيام فهي أمه التي ربته ، ولذلك كان بداية رده على الرسالة :(وصلت رُقعتك يا أمَّاه ...) [٢١] ، ومع ذلك لم تناديه باسمِهِ مباشرة وهذا الأسلوب يضمن الحفاظ على أواصر التواصل بين المتكلم والمخاطب ، كما التزمت الكاتبة بقاعدة التشكك التي تقضي بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويترك المخاطب مبادرة إتخاذ القرارات ونجد ذلك في قولها : (فإن رأيتَ أن ترحم ضعفي واستكانتي وقِلَّةَ حيلتي ، وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راغباً فأفعَلْ)[٢٢]، فالكاتبة زبيدة زوجة الرشيد تركت للمأمون حرية إتخاذ القرار أن يفعل مايُريد أو لايفعل، إذن نرى أن الإلتـــزام بمبـــدأ التأدب قد منع مايمكن وقوعه من أحداثٍ قد تحصل نتيجة خرقِهِ ، ولذلك كان رد الخليفة المأمون إيجابيـــاً وعلى ذات النســـق من البر لزوجةِ أبيه (زبيدة) ، فقال ضمن ردِهِ : (وقد أمرْتُ بردِّ جميع ما أُخِذ لَكِ ، ولَنْ تَفْقِدي ممَّن مضى إلى رحمة الله إلاَّ وجهَه ، وأنا بعد ذلك لكِ على أكثر مما تختارين ، والسلام) [٢٣] ، إذ كان رد الخليفة المأمون مليئاً بمعاني الوفاء لزوجة أبيه التي تعهدتْهُ صغيراً ، ولم يَدَعْ لمنصبه أن يقطع رحماً أحسنت إليه ، وظل المأمون يرعى زبيدة طيلة حياتها ، وأحسن إليها وحفظ قدرها كما كان يستشيرها في أمورِهِ تقديراً لحكمها، إن طغيان خطاب الاستعطاف يبدو مسيطراً على مكونات الرسالة ؛ ويرافق هذا الاستعطاف تودداً ممزوجاً بتعفف ؛ يعبر عن سياق سابق كان لصاحبة هذا الخطاب في قولها : (فافْعل وتذكَّر مَنْ لَو كانَ حَياً لَكان شفيعِي إليْكَ) فاسناد الشفاعة لها دليل الضعف والاستكانة التي عليها ولم تقل شفيعاً ؛ حتى يكون مقطوعاً عاماً ، بل قيدته بنسبتِهِ إليها ، فقاعدة التعفف تقوم على استعمال العبارات التي تصون النفس وتحافظ على ماء الوجه سواء للمتكلم أو للمتلقي .

خاطب يحيى بن أكثم المأمون بكتابٍ قائل فيه : (أنت ياأميـــر المؤمنين أكرم من أن نعرض لك بالاستنجاز ، ونقابلك بالاذكار وأنت شاهدي على وعدك ، لاتأمر بشيء لم تتقدم أيامه ولم يقدر زمانه ، ونحن أضعف من أن يستولي علينا صبر إنتظار نعمتك، وأنت الذي لا

يؤوده [٢٤] أحسان ولا يعجزه كرم ، فعجّل لنا يا أمير المؤمنين مايزيدك كرماً وتزداد به نعماً، ونتلقاه بالشكر الدائم) [٢٥] ، ذكر يحيى بن أكثم حاجةً له قد وعدَهُ الخليفة المأمون بقضائها ولكنه غفل عنها، التزم الكاتب في رسالتِهِ بقاعدة التعفف إذ استعمل العبارات التي تحفظ المسافة بينه وبين الخليفة إذ ناداه بـــ(أمير المؤمنين) مرتين في رسالته ، كما انه تلطف في طلبِهِ عندما يستعمل أساليب الطلب المباشرة أثناء طلبِهِ لحاجتِهِ من الخليفة وذلك في قوله :(فعجل لنا يا أمير المؤمنين مايزيدك كرماً وتزداد به نعما ونتلقاه بالشكر الدائم)، والملاحظ في خطاب ابن الأكثم أنه علّق كل مايريده على وصف الكرم الذي وصف به الخليفة المأمون فقولِهِ: (أنت ياأميـــر المؤمين أكرم من أن نعرض لك بالاستنجاز...)، إخبار ثم بدأ بطلب مايريد جاعلاً صفة الكرم هي الأساس الذي يخل بها عدم الاستجابة، لذلك قال : نعرض لك بالاستنجاز ونقابلك بالأذكار ... .

خَرْقُ قاعِدَة التّعْفُفِ

من المخاطبات التي خرقت مبدأ التأدب (قاعدة التعفف) ، ماجاء في خطاب هارون الرشيد راداً فيها على رسالة ملك الروم نِقْفُور ، قائلاً: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى نِقْفُور كلب الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ماتسمعه ، والسلام)[٢٦]، على الرغم من إلتزام الرشيد في رسالتِهِ ، بقاعدة الكم والجهة أوالكيفية ضمن مبدأ التعاون من ناحية الإيجاز والوضوح فقد أدى المضمون في إيصال الغرض بقليل من العبارات إلاَّ أنه أخلَّ بمبدأ التأدب قاعدة التعفف التي تنص على أن لا يستعمل المتكلم من العبارات إلاَّ ما تحفظ المسافة بينه وبين المخاطَب وهارون الرشيد خاطب نِقْفُور بـــ (ابن الكافرة) وقد استلزم ذلك بسبب نقض نِقْفُور الصُّلح الذي كان بين المسلمين وبين الامبراطورة (أريني) بعد أن خلعها الروم وأصبح نِقْفُور مكانها ، كما أن رسالة نِقْفُور إلى هارون الرشيد التي يقول فيها :(من نِقْفُور ملك الرُّوم إلى هارون ملك العرب، أمّا بعد ، فإنَّ الملكة التي كانت قبلي ، أقامتك مقام الرُّخ [٢٧] ، أقامت نفسها مقام البيْدق ، فحملت إليك من أموالها ماكنت حقيقياً بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النِّساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قِبَلك من أموالها، وأفتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلاَّ فالسَّيف بيننا وبينك) [٢٨] ، قد

استفزت هذه الرسالة هارون الرشيد وكانت سبباً في غضب الرشيد ، ما استلزم عدم إلتزامه بمبدأ التأدب في ردِّهِ على نِقْفُور ، كما إن نِقْفُور قد خرق مبدأ التأدب في رسالتِهِ وذلك في قوله : (إلى هارون ملك العرب) فلم يذكر لقب الخليفة أو أمير المؤمنين ، وكذلك خرق قاعدة التعفف من خلال استعمال صيغة الأمر المباشرة وفرض نفسه ورأيه باسلوب التهديد والوعيد وذلك بقوله: (فاردُدْ ما حصل قِبَلك من اموالها ، وأفتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك) وفي رواية أخرى: (وينبغي أن تعلم أني أنا الشاه ، وأنت الرُّخ فأدِّ إليَّ ماكانت المرأة تؤدي إليك) [٢٩] ، وهذا نفسه يحيل إلى خرق قاعدة التشكك ، لأنه لايترك للمخاطَب فسحة من الإرادة الحرة ، وإن خرقِهِ لقاعدتي التعفف والتشكك يؤول الأمر إلى أن المتكلم لم يراعِ قاعدة التودد وقام بخرقها ، ولكن بعدما فتح الرشيد هِرقلة عنوة بعد حصار وحرب شديدين، وبثَّ الجيوش والسرايا بأرض الروم؛ كتب نِقْفُور مع بطريقَيْن من عظماء بطارقتِهِ في جارية من سبي هرقلة كان قد خطبها نِقْفُور لابنِهِ يقول نِقْفُور في رسالتِهِ : (لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نِقْفُور ملك الروم سلام عليكم ، أمَّا بعد أيها الملك ، إنَّ لي إليك حاجة لاتضرُّك في دينك ولا دنياك ، هيِّنة يسيرة، أن تهب لابني جارية من بنات أهل هِرقلة ، كنت قد خطبتها على ابني ، فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته) [٣٠] ، واستهداه طبيباً وسرادقاً من سرادقاتِهِ فهذه الرسالة على النقيض من رسالة نِقْفُور السابقة التي أشتملت على الوعيد والتهديد وخرق بها نِقْفُور مبدأ التأدب ، فهذه الرسالة تتقيد تقيداً تاماً بقواعد مبدأ التأدب (التعفف والتخيير والتودد) فقد أستهل رسالتِهِ بتقديم المرسل إليه على المرسل ، إن هذا التقديم لايعني التقليل من شأن المتكلم ومكانته أو الحط من قدره، وإنما يكون ضمن مبدأ التأدب في إظهار الود للمخاطَب ، وذكر اللقب الإسلامي لهارون الرشيد (أمير المؤمنين) وناداه بعد ذلك بالملك وفي نهاية الرسالة ختمها بتحية الإسلام كاملة ، بعدما بدأها بـ (السلام عليكم)، إلقاء التحية من مظاهر التأدب (إن أولى الوظائف اللغوية أو مظاهر السلوك اللغوي، هي استعمال اللغة للتحية بأنواعها ولإظهار التأدب والتلطف وذلك في المناسبات الاجتماعية المختلفة وما شابهها)[٣١] ، وقد إستلزم نِقْفُور أن يخرق مبدأ التأدب في رسالتِهِ الأولى مع إلتزامه بقواعد مبدأ التأدب في رسالته الثانية وذلك لأن غرض نِقْفُور في الرسالة الاولى كان منصباً على التهديد والوعيد فكان لابد من أن يخرق فيها مبدأ التأدب ، وأما الرسالة

الثانية التي التزم بها بقواعد مبدأ التأدب لأن كان جلَّ همه منصرفاً إلى تحصيل طلبه ويجب أن يلتزم بقواعد التأدب حتى يضمن تنفيذ طلبِهِ .

إذ يقتضـــي مبدأ التـــأدب أن يضـــع المتكلم في اعتبارِهِ إحترام مقام الآخر قبل مقام الذات ، إذ يجب أن يراعي المتكلم وفق مبدأ التأدب نوع العلاقة بينه وبين المخاطب في خطابه، ونِقْفُور تجنَّب أفعال الطلب المباشرة في رسالتِهِ فضلاً عن تجنبِهِ الإلحاح في الطلب ، ولم يكره الرشيد على فعل مايريد ، وهو بذلك قد التزم بقاعدتي التعفف والتشكك وذلك في قولِهِ : (فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت) فكانت نتيجة إلتزامه بمبدأ التأدب ، أمر (الرشيد بطلب الجارية " وهي ابنة بطريق هرقلة " فسُلِّمت وسرادق كان الرَّشيد نازلاً فيه ، مع آنية ومتاع وعطور وتمور... إلى رسول نِقْفُور)[٣٢].

فالتأدب في الطلب تكون نتائجه إيجابية وهذا لايكون مع الرسائل التي تخرق مبدأ التأدب كما فعل نِقْفُور في رسالتِهِ الأولى .

ثانياً / قاعدة التخيير أو التشكك :

تقتضي هذه القاعدة بأن (يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككاً في مقاصده ، بحيث يترك للمخاطب مبادرة إتخاذ القرارات ، كأن يقول له : " ربما ترغب في تحصيل مافي هذا الكتاب " أو يقول : " قد يكون من المفيد تحصيل مافي هذا الكتاب " بدل أن يقول : " ينبغي عليك تحصيل مافي هذا الكتاب "؛ ولايضيره إذ ذاك أن يتجاهل المخاطَب اعتقاده أو إرادته ، إذ لايدل هذا التجاهل بالضرورة على أنه يَرُد قول المتكلم ، مادام هذا الأخير لم يجزم بمضمون قوله) [٣٣].

على وفق هذه القاعدة يترك المتكلم للمخاطَب حرية إتخاذ القرارات وذلك أن يتجنب استعمال أساليب التقرير والأخذ بأساليب الاستفهام وبذلك فهي تعمل باتساق مع قاعدة التعفف يقول عبد الهادي الشهري : (وأمّا قاعدة التخيير فتعمل أحياناً باتساق مع قاعدة التعفف كما قد تحل محلّها أحياناً عندما لا تناسب السياق ، فتعمل بمعزلٍ عنها ، وتقترح قاعدة التخيير التلفظ بأساليب دالة على تخيير المرسل إليه في إتخاذ ردّة الفعل المناسبة أو التلفظ بأساليب الشك عند

المرسل ، بدلاً من استعمال أساليب الجزم والإلحاح ، بحيث يدع للمرسل إليه حريّة إتخاذ القرار مثل :

- مارأيك في تناول قدح من الشاي ، بدلاً من : تناول قدحاً من الشاي) [٣٤] ، يعد الاستفهام من أبرز الأساليب الطلبية التي يلجأ إليها المتكلم للالتزام بمبدأ التأدب قاعدة التخيير فمن خلالها يحقق المتكلم (فعلين كلاميين الأول الإلتماس الذي يحققه بواسطة فعل ثانوي وهو "السؤال" ثم المقصد الأساسي الذي يقصد حصوله بواسطة الفعل الكلامي غير المباشر) [٣٥]

وتفيد هذه القاعدة بفسح مجال الخيار للمخاطَب ويظهر المتكلم احترامه للمخاطَب من خلال مراعاتِهِ ونزولِهِ عند إرادتِهِ ورغباتِهِ .

(ويتبلور في هذه القاعدة الاعتراف بمكانة المرسل إليه ، بوصفه طرفاً في الخطاب، يتمتع بقدرات تؤهله للمشاركة في إنجاز الفعل ، وتعد الملمّحات الفعليّة من أهم أدواتها مثل : أعتقد ، أتوقع ، فقد يستعملها بالرغم من ثقتِهِ فيما يقوله ، لكنه لا يريد إحراج المرسل إليه وكأنه يريد أن يُطَمئنَه بأنّه لاتثريب عليه في إعتقادِهِ) [٣٦] ، واستعمال هذه الأدوات يفضي إلى (المواكبة بين ماتقتضيه كل من قلعدتي التعفف والتخيير ، وذلك بتجنب التلفظ بالكلام المحرج من جهة ، ومنح المرســل حرّيته في التأويل من جهة أخرى) [٣٧] .

من الخطابات التي التزمت بقاعدة التشكك أو التخيير ، خطاب عمرو بن مسعدة إلى الخليفة المأمون يقول فيها : (إنْ رَأى أميرُ المؤمنين أن يَفُكَّ أسرَ عدَّته من رِبْقة المَطْلِ[٣٨] بقضاء حاجةِ عبده ، والإذن له بالانصراف الى بلده ، فَعَلَ ، موفَّقاً) [٣٩] ، أراد عمرو في رسالتِهِ إقناع المأمون بتنفيذ وعدٍ قطعه لرجلٍ فكلّف الرجل عمراً أمر صياغة الرسالة التي أُعجب بها المأمون ، لبلاغتها وإيجازها ووعد بتنفيذ ماكتبهُ له، وفي قوله : (إن رأى أميرُ المؤمنين أن يَفُكَّ ...) نجده قد ترك للخليفة حرية الإختيار أن يفعل مايشاء ، ومايراه مناسباً وهو بذلك قد التزم في خطابِهِ بقاعدة التخيير من خلال تجنبه استعمال أساليب الأمر المباشرة.

وكتب أحمد بن يوسف مثل ذلك إلى المأمون يقول : (إن داعي نَداك ، ومُنَادِي جَدْواك، جمعا ببابك الوفُود يرجون نائلك العتيد [٤٠] ، فمنهم من يَمُتُّ بحرمة ، ومنهم من يُدْلي بسالف خِدْمَة ، وقد أجحَفَ بهم المُقام ، وطالت عليهم الأيام فإن رأى أميــر المؤمنيــن أن ينْعشــهم

بسيبه ويحقق حسن ظنَّهم بطَولِه فعل إن شاء الله) [٤١] كتب أحمد رسالته عندما كثُر طُلاب الصِّلات بباب المأمون بسبب تأخر اعطياتهم، فنجد أن الكاتب قد التزم بقاعدة التخيير في طلبه من الخليفة المأمون وذلك في قوله : (فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيبة ويحقق حسن ظنَّهم بطَولِه فعل إن شاء الله) وبهذا ترك للخليفة حرية إتخاذ القرار في تلبية مطالبهم ، إذ استعمل الكاتب أسلوب الشرط مقترناً بالدعاء (إن شاء الله) وبذلك ترك للخليفة حرية إتخاذ القرار، ونستدل من الرسالتين السابقتين على وعي الكتّاب بأصول الخطاب وآدابِه ، فمن غير اللائق أن نفرض شيئاً على المخاطَب الذي يشغل منصباً عالياً في الدولة ، ويعدُّ ذلك خارج حدود الأدب واللباقة وتكون نتيجة تلبية الطلب سلبية ، ولذلك نجد نتيجة رسالة عمرو بن مسعدة إيجابية إذ وعد المأمون بتنفيذ ماكتبهُ له ، وكذلك رسالة أحمد بن يوسف كانت نتيجة رسالتِه إيجابية ، إذ وقع المأمون في كتابه يقول : (الخير متبع ، وأبواب الملوك مغانٍ لطالبي الحاجات ومواطن لهم ، وأمره أن يكتب اسماء من بالباب ومراتبهم ليصير لكل شخص منهم قدر إستحقاقه)[٤٢] .

كتب الجاحظ إلى صديق له يوصيه برجلٍ لايعرفه يقول: (هذا كتابي مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حرمته ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذممك)[٤٣]، استعمل الجاحظ أسلوب الشرط للتعبير على حرية الأختيار التي تركها لصديقِه في أن يقضي حاجة الرجل أو يردها ، وهو بذلك قد التزم بمبدأ التأدب قاعدة التخيير .

روى القالي في الأمالي عن أبي عكرمة قال : (مرَّ أبو جعفر المنصور بالمهدي وهو ينشد المفضل قصيدة المسيب التي أولها " أرَحَلتَ " وذكر القصيدة ثم قال فلم يزل واقفاً من حيث لايشعر به ، حتى استوفى سماعها ، ثم صار إلى مجلس له ، وأمر باحضارهما ، فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب ، واستحسانه إياها ، وقال له : لو عمدت إلى أشعار المقلّين وأخترت لفتاك لكل شاعر أجود ماقال ؛ لكان ذلك صواباً ، ففعل المفضل)[٤٤]، قام أبو جعفر المنصور بتكليف المفضل الضبي بمهمة تعليم ابنه المهدي ، وقد وجه أبو جعفر المنصور المفضل ان يختار من الشعر الجيد من أشعار المقلّين ليعلم به ولي العهد ، على الرغم من أن الخطاب موجه من الخليفة إلى معلّم ابنِه إلاَّ أنه قد التزم بمبدأ التأدب ، لم يخرق قاعدة التخيير، فلم يستعمل أساليب الطلب المباشرة، ولم يجبر المفضل على فعل

مايريد ، بل استعمل أسلوب الشرط في طلبِهِ ، وذلك في قوله : (لو عمدت إلى أشعار المقلّين ... لكان ذلك صواباً) .

خَرْقُ قَاعِدَة التَّخْيير أو التَشَكُّكِ

مضمون قاعدة التخيير هو أن نترك لغيرنا حُرية الاختيار وعلى المتكلّم أن يتجنّب الأساليب الطلبية كالأمر والنهي التي من شأنها تُلزم المخاطَب بإنجاز الأفعال الصادرة عن طالب الفعل ، خاصة عندما يكون المخاطَب في مرتبةٍ أعلى من المتكلم.

تكثر الأساليب الإنشائية الطلبية في رسائل الوصايا والنصح إذ (يكثر في الوصايا استخدام الأساليب الطلبية كالأمر والنهي ، وغالباً ماتقترن هذه الأساليب بالتحليل، وذلك لبيان الهدف الذي يرمي إليه القائل من الأمر والنهي ثم من الوصية بشكل علم)[٤٥].

وتتكرر الأوامر والنواهي في رسائل الوصايا ، لاسيما في الوصايا الحربية السياسية، إذ مقامها يستدعي ذلك الأسلوب ، ومن أمثلة ذلك ماجاء في وصية الخليفة الأمين ليحيى بن علي بن عيسى بن ماهان : (أمنع جُندك من العبث بالرعية ، والغارة على أهل القُرى، وقطعِ الشجر ، وانتهاك النساء ، وولِّ الريِّ يحيى بن علي ، وأضمم إليه جنداً كثيفاً ، ومُرْهُ ليدفع إلى جندِهِ أرزاقهم مما يجيء من خراجها ، وولِّ كل كُورة ترحل عنها رجلاً من أصحابك، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظْهِرْ إكرامه ، وأحسن جائزته ، ولا تعاقِبْ أخاً بأخيه ...) [٤٦] .

أما الجمل التقريرية فقد جاءت أغلبها على سبيل النصح ، كما في وصية المنصور لابنه المهدي قال فيها : (إياك والدم الحرام ، فإنه حوب عند الله عظيم ... والزم الحلال؛ فإنه ثوابك في الآجل وصلاحك في العاجل) [٤٧] ، اقترن الأمر والنهي في هذه الوصية بالتعليل، ولقد أنبرى العلماء والفقهاء إلى نصح الخلفاء بضرورة الحكم وفق الشريعة الاسلامية ومن المؤكد أن تحتوي هذه النصائح على أسلوبي الأمر والنهي ، إذ كان الخلفاء في العصر العباسي يطلبون من العلماء والفقهاء النصيحة والموعظة ، فقد أرسل المنصور إلى الأوزاعي طالباً منه أن يكتب إليه بما يحبه ويراه صحيحاً ، فكتب إليه : (أما بعد فعليك بتقوى الله ، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، وأعلم أن قرابتك من رسول الله لن

تزيد حق الله عليك إلاَّ عظماً ولا طاعته إلاَّ وجوباً) [٤٨] ، يتقبل الخلفاء بما جاء في النصائح بصيغة الأمر أو النهي ، لأنهم أدركوا أن الهدف منها هو لصلاح الراعي والرعية ، ولذا كانوا يطلبون من الوعاظ أن لايترددوا في ذلك شفاهة أو كتابة ، إذ كانت هذه النصائح مجردة من الأغراض الشخصية من منفعة أو رياء ، إنما قصد بها مرضاة الله (ﷻ) ، ولذلك لم يخشَ هؤلاء غضب الخليفة وما يتمخض من كلامهم من ردود فعل .

وجاء التوكيد في بعض هذه النصوص إشعاراً بأهمية الأمر، وهذا ضروري في مقام الوصايا والعهود ، مثل وصية المأمون للمعتصم : (لتقومنَّ بحق الله في عباده ، ولتؤثرُنَّ طاعته على معصيته) [٤٩] .

ومجال الأسلوب الإنشائي في التوقيعات واسع وهذا منطقي في مقام الأوامر والأحكام، فمن يطالع توقيعات الخلفاء (يجد كثيراً منها قد جاء بصيغة الأمر – ماعدا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر – لأنها صدرت عن رئيسٍ إلى مرؤوس ، وصيغ الأمر كما هو معروف تفيد التقرير والتنفيذ وعدم المخالفة .... أما ماورد بصيغة الأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري فإنه خرج إلى الأمر والتقرير أيضاً) [٥٠] ، فقد يأتي الأمر إثر تقرير قضية ، فقد رفع زياد بن عبيد إلى المنصور كتاباً يسأله فيه الزيادة في أرزاقه ، وبالغ في الكتاب فوقَّع المنصور : (إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجلٍ أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق عليك ، فأكتفِ بالبلاغة) [٥١] ، ومنها توقيع هارون الرشيد يأمر محفوظ صاحب خراج مصر: (يامحفوظ ، إجعل خرج مصر خرجاً واحداً ، وأنت أنت) [٥٢]، ووقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : (ياعمرو عَمِّر نعمتك بالعدل ؛ فإن الجوْر يهدمها) [٥٣] ، ووقع في قصةٍ لمتظلم من حميد الطوسي : (يا أبا غانم ، لاتغترَّ بموضعك من إمامك ، فإنك وأخسَّ عبيده في الحقِّ سيَّان) [٥٤] .

وحملت بعض التوقيعات أمراً ونهياً في آن واحد ، فقد كتب أحمد بن يوسف كتاباً إلى المأمون يستجدي لبعض طلاب الحاجات فوقَّع المأمون : (... فاكتبْ أسماء من ببابنا منهم، واَحْكِ مراتبَهم ليصير إلى كل أمرىء منهم قدر أستحقاقِه، ولا تكدَّرنّ معروفنا عندهم بطول الحِجاب ...) [٥٥] ، استلزم خرق قاعدة التخيير أو التشكك من قِبل الخلفاء والوعّاظ والكتّاب، ففي الوصايا استعمال صيغة الأمر لإنجاز الافعال الصادرة من المتكلم، أما في النصح فهي

لدعوة الخلفاء بضرورة الحكم وفق الشريعة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللتذكير بيوم الحساب ، أما التوقيعات فهي لتنفيذ الاحكام الصادرة عن الخليفة أو الوزير أو في تقرير الحكم في قضية ما .

ثالثاً / قاعدة التودد :

تقتضي هذه القاعدة أن يتودد المتكلم الى المخاطَب بخطابه ولذلك فإنها (توجب على المتكلم أن يعامل المخاطَب معاملة الند للند ؛ ولاتفيد هذه المعاملة إلاَّ إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبتِهِ ؛ ومتى قام المتكلم بشرط المعاملة بالمثل، مستعملاً لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب ، أَنِسَ به المخاطَب أُنْساً وأطمأن إطمئناناً إلى مايبديه له المتكلم من ثقة وعناية) [٥٦] ، وتضع قاعدة التودد المتكلم في دائرة البعد عمّا ينفّر المخاطب منه من خلال (عبارات وجمل تفصح عن التقدير والإحترام والصداقة مثال ذلك :

- من فضلكم انتبهوا للدرس

فالانتباه للدرس ضرورة ، لكن تنبيه الغافلين عنه يكون بأبلغ طريقة حينما يمزج المتــكلم بين الرغبة في الإقناع ، واستثمار ممكنات الخطاب بأفضل طريقة متاحة ، بعيداً عن كل التعابير السلطوية المستفزة التي قد تنفر المخاطبين عن الانتباه أكثر مما تجذبهم لمتابعة الدرس) [٥٧] .

وأن يتودد المتكلم إلى المخاطب أثناء خطابه دلالة على تأدبِهِ معه بوصفه صديقاً مرغوباً فيه و(علامة على تأدبه معه ، إذ يقود ذلك إلى صداقة حميمة بين طرفي الخطاب ، كما يشــعر المرسل إليه بالانتعاش لإحساسِهِ بالتساوي مع المرسل ، وذلك بشرط تكافؤ مرتبة طرفي الخطاب ، أو أن يكون المرسل أعلى مرتبة من المرسل إليه) [٥٨] .

ومن الخطابات التي التزمت بقاعدة التودد خطاب الخليفة هارون الرشيد إلى سفيان الثوري لما تولى الرشيد الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلاَّ سفيان الثوري فإنه لم يأتِ وكان بينهما صحبة ، فشق ذلك عليه فكتب الرشيد إليه كتاباً قال فيه : (بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم ... مِنْ عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيهِ في الله سُفْيَانَ بن سَعيد الثوري أمَّا بَعْدُ :

يأخي فقد علِمْتَ أنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالى آخى بينَ المؤمنينَ ، وقد آخيْتُكَ في الله مُؤاخَاةً لَمْ أحرمْ فيها حبك ولَمْ أقطَعْ منها وُدَّكَ ، وإنِّي منطوٍ لَكَ علـــى أفضـــلِ المحبة ، وأتم الإرادة ، ولولا هذهِ القلادةُ الَّتي قَلَّدنيها اللهُ تعالى لأتَيتك ولو حَبْواً ، لِما أجِدُ لَكَ في قَلْبِي مِنَ المَحَبَّةِ ، وإنه لم يبقَ أحد من إخواني وإخوانك إلاَّ زَارَنِي ، وهَنَّأنِي بما صِرْتُ إليْهِ ، وَقَدْ فَتَحْتُ بُيُوتَ الأَموالِ، وأعطيتهم من المواهبِ السَّنِيَّة مافَرَّحْتُ بهِ نفسي ، وقرت به عيني وقد اسْتَبْطَأْتُكَ ... ؟ ؟، وقد كتبت كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت يا أبا عبدِالله ما جَاءَ في فَضْلِ زيارة المُؤمنِ ومواصلَتِهِ ، فإذَا وَرَد عَلَيك كِتَابِي هذا فَالعَجَلَ العَجَل) [٥٩] وأعطى الرسالة لعباد الطالقاني وأمره بإصالها إليه، نجد الخليفة قد عمد في رســـالتِهِ الإلتزام بمبدأ التأدب قاعدة التودد لطمأنة المخاطَب وعلى الرغم أن الخليفة هارون في مرتبة أعلى من المخاطَب لأنه خليفة المسلمين إلاَّ أنه قد التزم في خطابه بقاعدة التودد إذ عامل المخاطَب في رسالتِهِ معاملة الند للند ففي هذه الرسالة يخاطب سفيان الثوري مستعملاً لفظة (أخي) فأستهل رسالتِهِ بقوله : (من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري) وناداه بعد ذلك بقولِهِ : (ياأخي فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين ، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أحرم فيها حبك ولم أقطع منها ودك) فناداه ياأخي وقال إن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك في الله إذ استمد هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [٦٠]، فاستعماله أسلوب التودد في مخاطبتِهِ وهو خليفة المسلمين هذا الأسلوب من شأنه أن يبعث الإطمئنان في نفس مخاطبِهِ كما يدل هذا النوع من الخطاب على قرب المسافة بين طرفي الخطاب ، وأما قولِهِ : (ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبواً ، لما أجد لك في قلبي من المحبة ...) ففي هذا القول قد التزم الرشيد بمبدأ التأدب الأقصى قاعدة التواضع ويدل ذلك استحسانه للعالِم سفيان الثوري ومحبتِهِ له .

وقد أعلمه في رسالتِهِ بشوقِهِ الشديد له وفضل زيارة المؤمن ومواصلته ، مع أن الخطاب في الرسالة موجه من أعلى مرتبة في الدولة وهو الخليفة إلى عالِم من علماء الدولة العباسية إلاَّ أنه التزم بقواعد مبدأ التأدب ، فالرشيد استعمل عبارات تحفظ المسافة بينه وبين المخاطَب ولم يستعمل العبارات المباشرة من خلال صيغة الأمر وهو بذلك التزم بقاعدة التعفف وترك حرية الإرادة للمخاطَب في زيارتِــهِ وتلبيـــة طلبه وذلك في قولِهِ: (وقد أستبطأتك ..؟؟ وقد كتبت

كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك) وهو بذلك التزم بقاعدة التخيير ، واستعمل أسلوب التلميح في طلبه ، وهو بذلك قد التزم في رسالتِهِ بقاعدتي التعفف والتخيير بالإضافة إلى إلتزامِهِ بقاعدة التودد في خطابِهِ ، وفي مثل هذا اللون من الرسائل الإخوانية ؛ يقول القلقشندي: (ينبغي للكاتب أن يجمع لها فكره، ويظهر فيها صناعته ، ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرِّقة ؛ يدل على تمازج الأرواح ، وائتلاف القلوب ، وما يجري هذا المجرى ، وأن يستخدم لها أعذب لفظ وألطف معنى ، ويذهب فيها مذهب الإيجاز والاختصار ، ويعدل عن سبل الإطناب والإكثار ؛ لئلا تستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب ؛ فيمل ويضجر ، وينتظم في سلك الملق والتكلف ؛ اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء) [٦١] ، ولولا شوق الرشيد لصديقِهِ والعتاب الذي أظهره في صورة معاناته لطول الانتظار ، والتعريض بزيارة بقية الإخوان وتهنئتهم له على الخلافة ، لولا ذلك كله لكانت الرسالة أشد إيجازاً .

ومن خطابات الخلفاء التي التزمت بقاعدة التودد رسالة تهنئة بمولودٍ جديد رزق به أحد وزراء المأمون وهو الحسن بن سهل حيث يتمتع بمنزلة خاصة عند المأمون إذ أوعز الخليفة لكاتبه عمرو بن مسعدة كتابة الرسالة ، وترك إليه مهمة إنتقاء الصياغة التي يراها مناسبة وذلك لثقتِهِ بمقدرة عمرو الكتابية إذ قال : (أما بعد فإنَّ هبة الله لك هبة لأمير المؤمنين ، وزيـــادتِهِ إيـــاك في عددك زيادةٌ له في عدده ، لمحلّك عنده ومكانك في دولتِهِ ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاماً سرياً ، فبارك الله لك فيه ، وجعله باراً تقياً ، مباركاً سعيداً زكياً)[٦٢]، استطاع عمرو في هذه الرسالة أن يعبر عما يدور في نفس الخليفة ، إذ كانت علاقة الخليفة بالوزير علاقة صداقة كبيرة ومودة فكان الحسن من الرجال المهمّين والمقربين للخليفة ولابد من مشاركتِهِ فرحته بهذه الرسالة التي تبيّن متانة العلاقة بينهما ، ومكانة الوزير عند الخليفة، فالتزم الكاتب في رسالته بقاعدة التودد التي تقتضي على المتكلم أن يعامل المخاطَب معاملة الند للند ويجب أن يكون المتكلم أعلى مرتبة من المخاطب كما في الرسالتين السابقتين .

ومثل ذلك نجده في الرسائل الإخوانية بين الأصدقاء التي يكثر فيها ذكر عواطـــف الشـــوق والمحبـــة ، مثل رسالة الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب ، وقد اصطَبَح في يوم دَجنٍ لم يُمطر : (أما تَرَى تكافُؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقُرب المطر وبُعْده كأنه قول كثَير[٦٣]:

وإني وتهيـــامي بعزةَ بعدمـــا تخليـــتُ مما بيننا وتخلّتِ
لكالمُرْتَجى ظلَّ الغَمامةِ ، كلما تبوَّأَ منها للمَقِيل اضْمَحلّتِ

النأي هُتِك بيني وبينك ، ورقعتي هذه وقد دارت زجاجاتٌ أوقعت بعقلي ولم تتحيفـــه ، وبعثـــت نشاط حركتي للكتاب ، فرأيك في أمطاري سروراً بسار خبرك ، إذ حُرِمْتُ السرورَ بمطر هذا اليوم موفَّقاً إن شاء الله) (٦٤) .

وردَّ الحسن بن وهب عليه :(وصل كتاب الأمير –أيَّده الله – وفَمي طاهِمٌ ، ويدي عامِلة، لذلك تأخر الجواب قليلاً ، وقد رأيت تكافؤ إحسانِ هذا اليوم وإساءتِه ، وما أستوجَبَ ذنباً استحق به ذماً ، لأنه إذا أشمسَ حكى حُسْنَك وضياءَك ، وإن أمطر حَكى جودَك وسخاءَك وإن غامَ أشبه ظِلك وفناءك ، وسؤالُ الأمير عني نعمةٌ من نعم الله عز وجل عليَّ أعفى بها آثار الزمان السِّيء عندي ، وأنا كما يحب الأمير صرف الله الحوادِثَ عنه وعن حظِّي منه) (٦٥)، مدح الأمير الحسن بن سهل في بداية ردِهِ وذكر بأن سؤال الأمير عنه نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى ، ففي هاتين الرسالتين التزم الحسنان بمبدأ التأدب وعامل الأمير الحسن بن سهل في رسالتِهِ للحسن بن وهب معاملة الند للند وهو في مرتبة أعلى من المرسل إليه –الحسن بن وهب –وهو بذلك قد التزم بقاعدة التودد .

ومن الخطابات التي التزم كتّابها بقاعدة التودد في مرتبةٍ متساويةٍ ، رسائل التهنئة بين الإخوان والأصدقاء ، ومن ذلك رسالة الحسن بن سهل الى أخيه الفضل ، كتب الحسن بن سهل إلى أخيه ذي الرياستين في تهنئة بمولود : (إنه ليس من نعم الله وفوائد قِسمه – وإن خُصَّ مَوقِعُها، ووجب شكرها – نعمةٌ تعدِل النعمةَ في الولد لنمائها في العدد وزيادتها في قوة العضد، وما يُتعَجَّل به من عظم بهجتها ، ويرجى من باقي ذكرها في الخلوف والأعقاب، ولاحق بركتها في الدعاء والإستغفار ، وإن الله قد أفادك وأنالك غلاماً سرياً سمَّيته فلاناً، فكان ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين) (٦٦) ، ذكر الحسن بن سهل في رسالتِهِ إن نعمة الولد لايوازيها أية نعمـــة أخـــرى من الله ســـبحانه وتعالى ، لنمائها في العدد وزيادتها في قوة العضد ... والواجب شكرها وتزامن ميلاده مع نصر أمير المؤمنين ... .

كما كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : (إن الله قد جعل جدّك عالياً، وجعلك في كل خير مُقَدَّماً ، وإلى غاية كل فضل سابقاً ، وحَيَّرك – وإن نأت بك الدارُ – من

أمير المؤمنين وكرامته قريباً ، وقد جَدَّد لك من البِّر كَيْتَ وكيتَ ، وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثرَه ، وأشرَفَه ، وإن شاء الله) [٦٧] ، ففي هذه الرسالة وسابقتها نمط من الرسائل الإخوانية التي تنشأ بين الإخوان وتمتاز بصدق المشاعر والتودد بين الشقيقين مع إلتزام هذا النوع من الرسائل بمبدأ التأدب قاعدة التودد فهي تصدر من مرتبتين متساويتين في الرتبة .

ومن صور التودد في الرسائل الإخوانية ، مواساة المريض والسؤال عن حالِه؛ حيث كَتَبَ الفضل بن يحيى البرمكي كتاباً يسأل فيه عن حالِ صديقِه في مرضِه ، قال في رسالتِه: (أَطَالَ اللهُ يَاأخِي مُدَّتَكَ ، وأَدَامَ نِعْمَتَكَ ، والله مَا مَنَعَنِي عَنْ إتْيَانِكَ ؛ إلاَّ التَّطَيُّرُ مِنْ عِيَادَتِكَ ؛ فَاعْذُرْ أخَاكَ ؛ فوالله ماقَلاكَ ، ولاَ سَلاكَ ولا اسْتَبْدَلَ بِكَ سِوَاكَ والسَّلاَمُ) [٦٨] ، جاءت الرسالة قصيرة ؛ موغلة في الإيجاز خفيفة على نفس المريض لكي لايثقل عليه ، التزم الكاتب بقاعدة التودد في سؤاله عن حال صاحبه المريض .

ومن الرسائل الإخوانية التي التزم كتّابها بمبدأ التأدب قاعدة التودد ، رسائل الشوق بين الأصدقاء فغالباً ماتعبر هذه الرسائل عمَّا يحمله الكاتب من صفاء النية وحسن المودة لصديقِه ونجد ذلك في رسالة أحمد بن يوسف إلى أحد أصدقائِه يشكو شوقه إليه ، فقال: (شوقي إليك شديد، يستوي في العجز عن صفته الخطيبُ البليغ والعَيُّ المُفْحَمِ ، فدعاني ذلك إلى الخَفْض على نفسي ، وتقديم جملة من ذكره إذا عارضْتَ بها ما في قلبك كانت لـــه موافقــةً ، بل كـــانت عليه مُفْضِـــلةً) [٦٩] ، فالكاتب في هذه الرسالة يعجز عن وصف شوقِه لصديقِه وإذا كان الخطيب البليغ يعجز عن وصف مشاعر الكاتب تجاه صديقه فمن باب أولى أن يلتزم الصمت، فالرسالة تعبّر عمَّا يكنّه الكـــاتب تجاه صديقـــه من محبة ومودة ، فالتزم الكاتب في رسالتِه لصديقِه بمبدأ التأدب قاعدة التودد، ومثل ذلك رسالة علي بن عبيدة الرَّيْحاني ، فقد كان شديد التلطف في شوقِه مع صديقِه، إذ يقول مُخاطباً صديقه: (كان خوفي مِنْ أنْ لا ألقاك متمكناً ، ورجائي خاطراً فإذا تمكّن الخوفُ طنيتُ[٧٠]، وإذا خطر الرجاءُ حييتُ) [٧١]، عبّر الكاتب في رسالتِه الموجزة لصديقِه عن شوقِه في لقاء صديقِه بالحياة وهي صورة توحي بالتفاؤل إذ ان إجتماعه بصديقِه يبعث فيه الحياة ملؤها الأمل ولكنه أيضاً يخاف من عدم قدرتِه لقاء صديقِه بسبب الموت ، وهذه الصورة تحمل في طياتها الشؤم واليأس وتتضافر هاتان

الصورتان المتضادتان في التعبير على شوق الكاتب في لقاء صديقِهِ من جانب ومدى مودتِهِ وحبِهِ وإخلاصِهِ لصديقِهِ من جانب آخر ، وقد التزم الكاتب في رسالتِهِ بقاعدة التودد وذلك من خلال تودده لصديقِهِ.

وكتب الحسن بن وهب إلى صديق له يعلمه صبابته إليه ووحشته لفراقه فقال : (وقد قسّمك الله بين طرفي وقلبي ، ففي مشهدك أُنس قلبي وفي عينيك لهو طرفي)(٧٢)، نجد الحسن في رسالتِهِ متلطّفاً حين يعبّر عن شوقِهِ وتوددِهِ لصديقِهِ فهو يقسّم شوقه بين القلب والعين .

فالرسائل الإخوانية تعبّر عن المشاعر الإنسانية بين الإخوة والأصدقاء ولا تتخذ موضوعاً بعينه فمنها ما هو بالتهنئة والتعزية والعتاب والإستعطاف والشوق وغيرها من الموضوعات التي تنشأ بين الإخوة والأصدقاء وتلتزم في مضمونها بقواعد مبدأ التأدب .

خَرْقُ قَاعِدَة التَودّد

الود الحب ويكون في كل مداخل الخير ، تودد إليه تَحَبَّب وهو تقرب شخص من آخر بما يحب طلباً لحبِهِ وبذل المودة والإحسان ، والتودد يكون بالكلمة الطيبة ، وخرق قاعدة التودد يكون بالبغض والهجاء وهو إبراز مثالب الآخر وإظهار الصفات السلبية على وجه الذّم ، ومن أمثلة الخطابات التي خرقت مبدأ التودد رسالة هارون الرشيد إلى نِقْفُور إمبراطور الروم قال فيها: (بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نِقْفُور كلب الرُّوم قد قرأت كتابك يا بن الكافرة ، والجواب ماتراه لاماتسمعه ، والسلام) (٧٣) ، ذم هارون الرشيد نِقْفُور إمبراطور الروم بنعته بـــ(كلب الرُّوم) و(ابن الكافرة) وهو بذلك خرق قاعدة التودد في معاملة المخاطَب معاملة الند للند ، وإظهار الود للمخاطَب ، واستلزم ذلك بسبب نقض نِقْفُور الصُّلح الذي كان بين المسلمين وبين الإمبراطورة (ارِيني) التي كانت تحكم الروم قبله .

ونجد أيضاً خرق لمبدأ التأدب قاعدة التودد في رسالة أحمد بن يوسف يذم رجلاً يقول فيها: (أمـــا بعد ، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعرَ من طريقه إليك، فالمعروف لديك ضائع ، والشكرُ عندك مهجور ، وإنما غايتُك من المعروف أن تحقره، وفي وليِّه أن تَكْفُرَه)(٧٤)،

وله أيضاً في الذم إلى والٍ : (أما واللهِ إن كنتَ لَمسيئاً إلى جندك ، مخطِئاً لحظِّك ، غيرَ نبيل في عملك ، ولا مُصيب عزَّك عن عمل في حكمك، تحيف في القضـــاء ، وتتَّبع الهوى وتقبل الرِّشـــا ، لســـتَ الثابتَ الرزينَ ولا الحليمَ الركينَ)[٧٥]، استعمل الكاتب أحمد بن يوسف أسلوب الذم في الرسالتين السابقتين وهو بذلك قد خرق مبدأ التأدب قاعدة التودد التي تنص على إظهار الود للمخاطَب ، ومعاملتِهِ معاملة الند للند وعدم تحقيره .

وفي ختام البحث عن مبدأ التأدب، أودُّ أن أشير إلى أن روبين لايكوف تدعي أن، قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها تأخذ بها كل المجتمعات البشرية وما الاختلاف الحاصل بين الثقافات إلاَّ في ترتيب أولوياتها، وعليه فهي ترى أن هناك قـــواعد تـــداولية يجب على الإنســـان أن يتبعها كما يتّبع قواعد النحو والدلالة [٧٦]، ولذلك نجد أن مبدأ التأدب يفضل مبدأ التعاون لأنه يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي من الخطاب ، ولأنه (يتفرع إلى قواعد متمايزة ثلاث تنظم هذا الجانب الذي تناساه (غرايس) هي : قاعدة التعفف وقاعدة التشكك وقاعدة التودد ، بل يرجع إليه الفضل في فتح باب رد التبليغ إلى التهذيب ، فقد ظهر أنه بالإمكان رد القواعد التعاونية إلى قاعـــدة التعفف المتفـــرعة على هذا المبدأ) [٧٧].

وقواعد مبدأ التأدب قائمة على ضرورة مراعاة العلاقة التخاطبية ذات البعد الأخلاقي بين المتكلّم والمخاطَب وفق ماتقتضيه العلاقات الجتماعية ؛ فهي تدعو إلى التعفف والتهذيب والتودد في تشكيل الفعل الكلامي .

الخاتمة

نستنتج مما سبق أن قواعد مبدأ التأدب بعضها يتفق مع مبدأ التعاون وبعضها يناقضه، فقاعدة التعفف تتفق مع قواعد مبدأ التعاون فهي تهدف إلى إنتاج الخطاب بشكل واضح والإلتزام بالقدر المطلوب من المعلومات وتجنب الإطناب من خلال اعتماد المتكلم على أقصر الطرق من تبليغ المعلومات إلى المخاطَب مع مراعاة مقام المخاطَب وهي كما نلاحظ قواعد مبدأ التعاون ، أما الاختلاف (فيكمن في أن إنتاج الخطاب وفق مقتضى قاعدتي التخيير والتودّد وهو خرق لقواعد مبدأ التعاون) [٧٨] .

ومما لاشك فيه أن الباحثة الفرنسية لايكوف قد قدمت من خلال مبدأ التأدب والقواعد المتفرعة عنه إضافة في مجال الدراسات اللسانية التداولية الحديثة ، فهي جعلت مبدأ التأدب مبدأً خطابياً

يضاف إلى مبدأ التعاون لغرايس في الخطاب ، وتؤكد أن وجود مبدأ التأدب يوسع في مبادئ الخطاب التي لم تعدْ مقتصرة على الجانب اللفظي فقط، وهذا فتح المجال لبحوثٍ لسانيةٍ جديدةٍ في مجال قواعد التواصل وتحليل التفاعلات الكلامية .

التزم الخلفاء والكتّاب بقواعد مبدأ التأدب في أغلب خطاباتهم ، إلاَّ أن بعضها خرق قواعد مبدأ التأدب ، وعلى الرغم من أن مبدأ التأدب يعدُّ مكملاً لمبدأ التعاون باعتماده الجانب التهذيبي إضافة إلى الجانب التبليغي إلاَّ أنه أهمل الجانب العملي والإصلاحي ، والتهذيب ينبني أساساً على مفهوم العمل ، لذلك سعى الدارسون إلى تدارك هذا النقص .

الهوامش

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤٠ ، وينظر : مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب : ٤٦-٤٧ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٩٧ .

(٣) التأدُّبُ مبْدأً خِطَابيّاً ، عبد الستار الجامعي ، مجلة الكلمة ، العدد ١٣٤ ، يونيو ٢٠١٨م .: ٢٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥ .

(٥) تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي : ٢٠٥ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٠٧ .

(٧) استراتيجية الخطاب الصاعد في القرآن الكريم : ٢٢٢ .

(٨) استراتيجيات الخطاب في مناظرات صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي (ت٤١٧هـ) مقاربة تداولية : ٦ .

(٩) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤١ .

(١٠) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠٢ .

(١١) المصدر نفسه : ١٠٠ .

(١٢) ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤٠ – ٢٤١ .

(١٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤١ .

(١٤) التطول التفضل ، والطَّوْلُ بالفتح : المَنُّ ، ويقال منه طال عليه وتَطَوَّلَ عليه ، إذا امْتَنَّ عليه . (الصحاح : ٧١٣)

(١٥) الصناعتين : ٣٦٨ ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا : /١٢٥ ، أمراء البيان : ١/ ٢٠١ ، عصر المأمون : ٣ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٤٢٨ ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : ٣/ ٥٥٧ .

(١٦) وفيات الأعيان : ٣٧٨/٣ ، المحاسن والأضداد : ١١ ، العقد الفريد : ٢ / ٢٧٢ ، عصر المأمون : ٩٧٤ – ٩٧٥ ، أمراء البيان : ١ / ١٩٧ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٤٣١ ، الأدب العربي وتأريخه في العصر العباسي : ٢/ ١١٥ .

(١٧) ينظر : أدب الدين والدنيا : ٤٥١ .

(١٨) الوَلَهُ : الحزن أو ذهاب العقل والتحيُّرُ من شدة الوجد . (الصحاح : ١٢٦٩) .

(١٩) تعني أباه هارون الرشيد .

(٢٠) مجاني الأدب في حدائق العرب : ٣ / ٢٧٩ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣١٥ .

(٢١) ينظر : جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣١٥ .

(٢٢) مجاني الأدب في حدائق العرب : ٣ / ٢٧٩ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣١٥ .

(٢٣) المصدران والصفحتان أنفسهما على التوالي .

(٢٤) يقال آده الأمرُ يؤوده إذا أثقله ، وقوله : لايؤوده إحسان : أي لايعجزه ، ينظر : محيط المحيط : مادة (أود) .

(٢٥) زهر الآداب وثمر الألباب : ٤ / ١٩٣ ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، بيومي السباعي : ٢٠٨ .

(٢٦) الكامل في التأريخ : ٥ / ١١٨ ، البداية والنهاية : ١٠ / ١٩٣ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٨ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٢٧٥ ، هارون الرشيد : ١٣٢ .

(٢٧) الرُّخ : قطعة من قطع الشطرنج وكذلك البيدق من قطع الشطرنج ويمثِّل جندياً ، ومعروف أن الرُّخ أقوى حركة وقيمة من البيدق على رقعة الشطرنج .

(٢٨) الكامل في التأريخ : ٥ / ١١٨ ، البداية والنهاية : ١٠ / ١٩٣ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٨ ، جمهرة رسائل العرب : ٣/ ٢٧٥ ، هارون الرشيد : ١٣٢ ، وقد وردت هذه الرسالة في عدة روايات : ينظر : جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٢٩) جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٢٧٥ .

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك : ٨ / ٣٢١ ، هارون الرشيد : ١٣٦ .

(٣١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ١٧١ ، وينظر : علم اللغة الإجتماعي : ٢٢٠ .

(٣٢) هارون الرشيد : ١٣٦ .

(٣٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤١ ، وينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ١١٩ .

(٣٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠١ .

(٣٥) ينظر : التداولية اليوم : ٥٩ .

(٣٦) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠١ .

(٣٧) المصدر نفسه : ١٠٢ .

(٣٨) رَبَّقَهُ : بالغ في ربطه (المعجم الوسيط : ٣٢٥) ، والمطل : الحبل أو القيد .

(٣٩) المحاسن والأضداد : ١٢ – ١٣ ، زهر الآداب وثمر الألباب : ٢ / ١٠٢٣ ، عصر المأمون : ٩١٧ – ٩١٨ ، جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٤٣٠ .

(٤٠) في معجم الادباء : المعهود .

(٤١) زهر الآداب وثمر الالباب : ٤٣٦ – ٤٣٧ ، معجم الادباء : ٥ / ١٦٩ ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف : ٣ / ٥٤٨ ، الأدب العربي وتأريخه في العصر العباسي، محمود مصطفى : ٢/ ١١٢-١١٣ .

(٤٢) زهر الآداب وثمر الالباب : ٤٣٦ – ٤٣٧ ، معجم الأدباء : ٥ / ١٦٩ ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول : ٣ / ٥٤٨ .

(٤٣) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، بيومي السباعي : ٢١٥ .

(٤٤) الأمالي : ٣ / ١٣٠ – ١٣١ .

(٤٥) فنون النثر في الأدب : ٤٠ .

(٤٦) تاريخ الرسل والملوك : ٧ / ١٧ ، جمهرة خطب العرب : ٣ / ١٠٣ .

(٤٧) المصدر نفسه : ٨ / ١٠٥ .

(٤٨) سير أعلام النبلاء : ٧ / ١٢٥ .

(٤٩) المصدر نفسه : ٨ / ٦٥٠ .

(٥٠) النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه : ٢٣٩ .

(٥١) نثر الدر : ٣ / ٩٠ .

(٥٢) العقد الفريد : ٤ / ٢٩٧ .

(٥٣) المصدر نفسه : ٤ / ٢٩٨ .

(٥٤) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٥٥) خاص الخاص : ١٣٢، جمهرة رسائل العرب : ٤/٣٨٠ .

(٥٦) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤١ .

(٥٧) التداولية أصولها واتجاهاتها : ١٠٨ .

(٥٨) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠٢ .

(٥٩) مواقف العلماء أمام الحكام والولاة : ٢٧ – ٢٨ ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، بيومي السباعي : ٢٠٤ .

(٦٠) سورة الحجرات : ١٠ .

(٦١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ٩ / ١٤٤ .

(٦٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ٩ / ٥٦ ، جمرة رسائل العرب : ٣ / ٤٢٩ .

(٦٣) كثير بن عبد الرحمن ، شاعر أموي معروف توفي سنة ١٠٥ هـ .(الأعلام : ٥ / ٢١٩) .

(٦٤) جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٦٥) المصدر نفسه : ٣ / ٣٦١ .

(٦٦) المصدر نفسه : ٣ / ٣٣٩ .

(٦٧) المصدر نفسه : ٣ / ٣٣٩ .

(٦٨) ربيع الأبرار : ٤ / ٩١ ، البصائر والذخائر : ٣ / ٩٨ ، نثر الدر : ٣ / ٩٧ .

(٦٩) جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣٨٠ .

(٧٠) طنيتُ : أي متُّ (ينظر اللسان : مادة طني)

(٧١) الصداقة والصديق : ٧ .

(٧٢) المصدر نفسه : ١٤١ .

(٧٣) ينظر : الكامل في التاريخ : ٥ / ١١٨ ، البداية والنهاية : ١٠ / ١٩٣ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٨ .

(٧٤) جمهرة رسائل العرب : ٣ / ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٧٥) المصدر نفسه : ٣٨٢ .

(٧٦) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠٣ ، في التواصل التكاملي : ١٤٦ .

(٧٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٤٢ .

(٧٨) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٠٢ .

المصادر والمراجع

- أدب الدين والدنيا ، الإمام العلّامة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ) ، دار المنهاج ، تشرفت بخدمتِهِ والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، الطبعة الأولى ،١٣٩١هـ .
- الأدب العربي وتاريخهُ في العصر العباسي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٣م .
- الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م .
- الإستلزام الحواري في التداول اللساني ، العياشي أدراوي ، دار الأمان ، الرباط ، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، د.نايف خرما ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ١٩٧٨م .
- الأمالي ، أبو علي القالي ، تحقيق حمد عبد الجواد الأصمعي ، طبعة دار الكتب المصرية .
- أُمراء البيان ، محمد كرد علي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .
- البداية والنهاية ، الحافظ أبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م .
- البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) ، تحقيق د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت- لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .
- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة ١٩٦٦م .
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، بيّومي السباعي ، مطبعة العلوم ، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- تاريخ الخلفاء ، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م .

❖ التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، ترجمة د. سيف الدين دغفوس ، د.محمد الشيباني ، مراجعة : د. لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م .
❖ جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م .
❖ جمهرة رسائل العرب في عِصُور العَربيّة الزاهِرة ، أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
❖ خاص الخاص ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) ، شَرَحَهُ وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلميـة ، بيروت – لبنـان ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
❖ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق د. سليم النعيمي ، إحياء التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية .
❖ زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي اسحق ابراهيم بن علي بن تميم الحصري المصري القيرواني (٤٥٣هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د.زكي مبارك ، وحققه وزار في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .
❖ سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
❖ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (٧٥٦ -٨٢١هـ)، تحقيق محمد كرد علي ، القاهرة ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي .
❖ الصداقة والصديق ، علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي ، كنيته (ابو حيان) ، آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م .
❖ الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية .
❖ عصر المأمون ، أحمد فريد رفاعي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
❖ العقد الفريد ، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد رَبّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
❖ علم اللغة الإجتماعي ، د.هدسون ، ترجمة د.محمود عبد الغني عيّاد ، مراجعة د.عبد الأمير الاعسم، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
❖ فنون النثر في الأدب العباسي ، د.محمد عبد الرحيم صالح ، الناشر وزارة الثقافة ، الأردن -عمّان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .
❖ في التواصل التكاملي فصول من التناظر بين الفكر العربي والفكر الغربي ، د.العياشي ادراوي ، منشورات الإختلاف ، منشورات ضفاف ، دار الأمان ، الرباط ، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م .
❖ الكامل في التاريخ ، تاريخ ابن الأثير ، للإمام العلّامة الحافظ المؤرخ علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ٢٠٠٩م .
❖ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبدالرحمن ، الناشر المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
❖ مجاني الأدب في حدائق العرب ، عني بجمعِهِ وضبطِهِ وتصحيحِهِ الأب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ، برخصة مجلس معارف ولاية بيروت ، الطبعة الثالث عشرة ١٨٩٦م.
❖ المحاسن والأضداد ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، الناشر مؤسسة هنداوي ، الطبعة الأولى ٢٠١٧م .

❖ معجم الادباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤ – ٦٢٦ هـ)، تحقيق د.إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الآولى ، ١٩٩٣م .
❖ مواقف العلماء أمام الحكام والولاة ، الدكتور عبد الرحمن عميرة ، الناشر دار العلم والثقافة ، القاهرة .
❖ نثر الدر ، للوزير الكاتب أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي (ت٤٢١هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين، مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
❖ النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه ، د.هاشم صالح مناع ود. مأمون محمد ياسين ، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .
❖ هارون الرشيد ، د.شوقي أبو خليل ، دار الفكر المعاصر، دمشق ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٦م.
❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، الناشر دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م .

المجلات والدوريات

❖ استراتيجيات الخطاب في مناظرات صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي (ت٤١٧هـ) مقاربة تداولية، د.خالد نعيم الشناوي ، مجلة آداب البصرة ،العدد٩٤ ، ٢٠٢٠م .
❖ استراتيجية الخطاب الصاعد في القرآن الكريم ، د.انجيرس طعمة يوسف ، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية ، العدد الأول ، المجلد ٤٥ ، كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠م.
❖ تداولية مبدأ التأدّب في إنجازية الفعل الكلامي ، د.عبد الحليم بن عيسى ، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية ، جامعة وهران أحمد بن بلة ، الجزائر ،العدد الأول ،٢٠١٩م .
❖ الكلمة ، مجلة أدبية ثقافية فكرية شهرية الكترونية ، تصدر من مدينة لندن بالمملكة المتحدة ، وتنشر ألكترونياً على الأنترنت ، وليس لها طبعة ورقية ، تعود الملكية الفكرية وحقوق النشر للمجلة ورئيس التحرير د. صبري حافظ ، موقعها الالكتروني : http://www.alkalimah.net .
❖ مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب ، د.طه عبدالرحمن ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بني ملال ، جامعة القاضي عياض ، العدد الأول ، ١٩٩٤م.